ومما يُذكر بالشكر مبتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعنون فيه باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولداً

وكذلك للسريان مأوى لبلي كان يلتجئ اليه اهل البأساء المنقطعون فيتّقون فيه من فواجع الطرقات والشوارع. وقد نوّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المتدبة بعد دخولها الشهباء.

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيّة في حلب اكبرها واجمعها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم. مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعده ما أنطق ألسنة الجميع بفضل مديراته وتفانيهنّ كما عرفوا جميعهنّ بتخريج الفتيات في مدرستيهنّ الداخليتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيّات توارد اليه عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بادارته ملائكة من الرحمة والشفقة

ومما احدثهُ الايطاليّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ

هذا بعض ما احاط بهِ علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيّة والتهذيبيّة . ولله فاتنا شيء منها مما لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة

النصرانيّة وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انّ النهضة الشعريّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح

اي القرن السابق لظهور الاسلام وفي تأخر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكهِ الباحثون عن اخبار الجاهليّة . فهذه امّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربّة على اطرافهـا الممالكُ الوطنيّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بمدّة قرون لا ينقصها شيءٌ من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتّقدة لسانُها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرهـا على التعبير عن كلّ العواطف البشريّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك باقرار اقدم الكتبة من العرب . فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنّنا طالما امعنّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيهِ فلم نجد لهُ شرحاً مقبولًا الّا بان نقول ان النصرانيّة كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذهـا وعزّها الّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبيّة معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ وكان من نتائج توغُّل النصرانيّة في جهات العرب انّها سوّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وترتقي دونها . فاستمدّ العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش . تلك المصادر الثلثة للاقلام العربيّة الاولى اعني القلم النسخي والمسند والكوفي . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعتهِ (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك بهِ على ما كان للنصرانيّة من السهم الافوز في حفظ الآثر الادبيّة ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ وكان للنصرانيّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انّ اربابها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امّا بفتح المدارس للناشئة واما بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق (ص ٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في ادية الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقشَيْن الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والبرّاق بن روحان . ونوّهنا ايضاً بذكر معلمين نصارى في مكّة والمدينة وغيرهما . فليت شعري يُحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانيّة في آداب الجاهليّة وشعرائها المقدّمين في ذلك القرن السادس ؟

٣ ومن الأدلّة القنعة على انّ النصرانيّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ

من مهده في القرن السادس انّ ذاك الشعر كان ظهورهُ اوّلًا بين القبائل النصرانيّة . فان استنتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيْه المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيروّاني في العمدة (ص٥٤) ثمّ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انّ الشعر العربي كان اوّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيّة في ربيعة كما اجمع عليه الرواة كابن قتيبة (في المعارف ص٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع الصفحة ١٣٠) . ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابني وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقّقنا نصرانيّتها كلها استنادًا الى معظم الكتبة . فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيّة الشعراء المتسمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمناً كما سبقوهم الى تقصيد القصائد . قال الفرزدق يذكر المهاهل التغلبيّ :

وسهلهُ الشعراء ذاك الاوّلُ

٤ ولنا بيّنة أخرى على نصرانيّة هؤلاء الشعراء الاوّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ مناوز ما بين النهرين من الفرات شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة . وكانت هناك النصرانيّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسّك فيها الحبساء بعدد وافر كصيد مصر وتشيّدت فيها اديرةٌ ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيّة ان جعدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخي كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لما يدوّنونهُ في بطون التواريخ تارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت الخيم وحيناً مزاراتهم الدينيّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمّا ظهر الاسلام اقرّ كتبتهم بما تحقّقوهُ من تنصّر تلك القبائل وقد دوّنا ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انّ من قبائل العرب المتنصّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيّة الحالفة لهم

ومما يجدر بالاعتبار انّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يُستدلُّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمّ طرفة ابن العبد وكانت امّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ ويؤيّد قولنا في نصرانيّة هؤلاء الشعراء انّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثرًا للشرك وعبادة الاصنام اللهم الّا في بعض الاقسام التي بيّنّا انّها كانت الفاظاً جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في ألسنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتّة (اطلب الصفحة ٧٠٥)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الأسفار المقدّسة والى الانبياء والى المأدبات النصرانية وقد جمعنا منها فصولًا واسعة مرّ ذكرها في كتابنا هذا فلتُراجع . وهذا يصحّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيّة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طيّ او من اليمانيّة

ولا شكّ انّنا كنّا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلّ على دينهم لو لم يُفقَد كثير منها . وزد على ذلك انّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان . وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمّهم غير الفرائد الادبيّة والنوادر اللغويّة فيضربون الصفح عمّا يعزّز ديناً غير الدين الاسلامي . ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيّة اهل الجاهليّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب (الاوّل) لذلك كما قلنا انّ الرواة السابق ذكرهم قلّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء واذا تصفّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليّة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيّة . وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطراداً لا تعمّداً . ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيّتهم لَما تحقّقنا دينهم كقسّ بن

ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيّة اولئيك الشعراء انهم كانوا من قبائل عصاميّة صحيحة النَّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديّة فانّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيّة ويصرّحون بيهوديّتها نسباً ودينتاً كقُرَيظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجوده من الاختلاف في نصرانيّتهم. فانّ دعاة النصرانيّة الذين دخلوا في جهات العربيّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس پنتانوس (S^t Panténe) واوريجانوس وموسى رسول الغسّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عتيهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرٌ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من مصادرة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمندائيّين ومتنصري اليهود المندعوّين بالإبيونيين والكسائيّين وهلمّ جرًّا حتّى انّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمّ اذا تكلّمنا عن شيوع النصرانيّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عموماً مع ما اختلط به من آراء المراطقة الباطلة. والحقّ يقال انّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوّلت للاسلام الفوز بالنصرانيّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيء كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبّت بساعي الخوارج والملحدين في ايّام الخلفاء.

واراؤنا هذه عن شيوع النصرانيّة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي ساسي ولونورمان في فرنسة وپالغراف (Palgrave) وليّال في انكلترّة (١ وروزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي

١) اطلب كتاب ليال في مقدّمة ترجمته الانكليزيّة G. Lyall : Translation of ancient Arabian Poetry

واطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير
انيَّة مما يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها
لعرب قبل ذلك العهد وذلك وقتاً ما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك
ة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك
فقصدوهم متديِّنين بدينهم . وقلَّما نجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من
كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل
بن عمرو وشعراء طيّ (التتمَّة لعدد آخر)

خرافة البابا حنّة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كنَّا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع
وتظهر في سراحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلادها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة
تروج فيها

هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنّة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت
افندي الرشي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان
بها قرَّاءنا ليعلم السوريُّون الى اي حدّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة
رب اعدائها

١ من هي البابا حنّة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة
حنَّة اصلها من مايُنس في المانية عشقت في القرون الوسطى رجلاً سافرت معهُ
لاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبَّت حنَّة هناك على العلوم فبرَّزت فيها
اجازاتها . ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتَّخذت